٢٣
إلى ولدي الحبيب..
وقد صار زوجا..

إليه في يوم عرسه البهيج، وقد صار زوجا.. تبدو على محياه علامات الرجولة والفتوة فتزيده جمالا وشبابا وحيوية.. إليه في هذا اليوم السعيد الذي طالما انتظرته وتمنيته، ودعوت ربي ألا يقبضني إليه حتى أكحل عينيّ بطلعته البهية في عرس الزوجية.. فما شاء الله لا قوة إلا بالله.. واللهم بارك لهما وبارك عليهما واجمع بينهما على خير..

أيها الابن العروس..

اعلم يا ولدي أن الزواج ليس مجرد قضاء شهوة أو تحصيل لذة، ولا امتلاك منزل أو تأثيث بيت، بل هو أوسع من ذلك بكثير، إنه بناء بيت على التقوى قبل بنائه بالحجارة، وتأثيث بيت بالحب والرحمة قبل تجهيزه بالأثاث والفراش، ونشر أريج الإيمان في جنباته قبل رشه بالعطور والرياحين، وزرع بذور اليقين في أرجائه قبل تزيينه بالورود والزروع، إنه قيام بيت جديد يضاف إلى رصيد البيوت المؤمنة، وتأسيس أسرة صالحة تزيد من تعداد الصالحين، وبذل وعطاء يزيد من رصيد المنفقين، وعشرة بالمعروف تنمو بأخلاق الطيبين، وما ضعفت المجتمعات إلا حين ضعفت الأسرة وجهل الزوجان أحدهما أو كلاهما الغرض الحقيقي من الزواج.

أي بنيّ..

لقد رزقك الله تعالى زوجة أحسبها صالحة، اخترتها بنفسك ولم يجبرك عليها أحد، وفضلتها على قريناتها من البنات، وقد أحسنتَ يا ولدي الاختيار فهي -ما شاء الله لا قوة إلا بالله- فتاة رائعة، فبارك الله لك فيها، وجعلك لها خير زوج، فاعرف حقها عليك وواجبك نحوها تعش سعيدا معها، فأنت التاج الذي يزين رأسها لتكون به مليكة بيتها

obeikandl.com

وملكة مملكتها الصغيرة.. وأنت زينتها في الحياة وسترها وغطاؤها، ألم تقرأ قول الله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾. فكن لها يا ولدي أطهر وأنقى وأنظف لباس، وأجمل وأغلى وأكمل ملبس، فإن بعض الأزواج للأسف لم يعرفوا من حقوق الزوجية إلا ما لهم ونسوا أو غفلوا عما عليهم، فطالبوا بحقوقهم ولم يؤدوا واجباتهم، وتعسا لأسرة تضيع فيها الحقوق ولا تعرف الأخذ والعطاء، لذا قبل أن تأخذ يا ولدي فكر أن تعطي، وقبل أن تطالب بما لك أدّ أولا ما عليك، واعلم أن من صفات المؤمنين أنهم لا يطففون ولا يخسرون الميزان بل يقيمونه بالعدل والقسط في كل الأحوال.

ولدي وقرة عيني..

أنت الآن مقبل على حياة جديدة تختلف عما كنت عليه، حياة فيها شيء من التجديد والانضباط والحركة والترتيب لأنك صرت راعيا مسئولا، وسيكون لك بدلا من الأسرة الواحدة أسرتان، لذا فإن عليك أن تبدل بعض عاداتك التي كنت عليها قبل زواجك وإن لم تكن سيئة، وتغيرها لما فيه استقرار بيتك وراحة زوجك، وأن تنظر فيما يساعدك على أداء حقوق مَن حولك، ومن أجل ذلك ستتغير بلا شك أوقات نومك وطعامك، وستقل مع الأصدقاء ساعات خروجك وسهرك، ستتخلى عن أشياء كنت تفعلها لا مكان لها الآن في عش الزوجية، وستهتم أكثر بلباسك ومظهرك، وكلامك ونظراتك، وأحاسيسك ومشاعرك، وفراغك وشغلك، وعملك وإنفاقك، وستقنن وتضبط بعض هواياتك، فتذكّر ذلك يا بني.. وحين تخلع ملابسك في آخر لحظة من لحظات [العزوبية] لترتدي بدلة الزفاف لعش الزوجية فاخلع معها كل ما يخالف تلك الحياة الجديدة أو ينغصها، وانوِ لله نية خالصة أن تقيم بيتك على التقوى والحب والتفاهم والعفو والمودة والرحمة، ولا تقل في يوم من الأيام أنا لأنك لست الآن وحدك وقد وَلَّت الأنا إلى غير رجعة وصرتَ بفضل الله زوجا.

أي بنيّ الحبيب..

لقد جعل الله تعالى من الزواج نسبا وصهرا فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤] ووسع به دائرة التعارف والتآلف بين

الناس، وأنت بزواجك من عروسك صرت لأهلها ولدا، فكن لهم خير ولد، وقد استأمنوك على أثمن جوهرة لديهم، ووهبوك إياها دون غيرك من الرجال لتكون راعيا لها حتى آخر العمر، فحافظ على رونقها وبريقها، وكن خير من يحفظ الأمانة ويشكر على الهدية ويثيب عليها من حبه وإخلاصه ووفائه، ولا تكن بعد حصولك عليها وقبضها في يدك من الجاحدين أو الخائنين.

احذر يا بنيّ أن تسيء فهم القوامة..

فلقد صرت بفضل الله زوجا قواما على زوجتك بنص كلام الله عز وجل القائل سبحانه: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ**﴾ [النساء: ٣٤] والقوامة يا بني لا تعني التسلط والتجبر ولا الظلم والبغي، أو العقوق والعصيان، كما يظن بعض الأزواج، وكما توحي بذلك بعض الثقافات المغلوطة حين تشبه الرجل [بسي السيد] والمرأة بالجارية التي تستلقي تحت قدميه ذليلة مهانة، ولو كان ذلك من باب التهكم والفكاهة والتسلية، لكنه يؤدي لتشويه الإسلام ووسمه بظلم المرأة، والإسلام لا شك من ذلك براء، وسيرة الحبيب محمد ﷺ تؤكد ذلك فقد كان خير زوج على الإطلاق، وهو القدوة لكل الأزواج يدعوهم بعمله إلى الاقتداء. لذا فإن قوامتك يا ولدي على زوجتك تشبه إلى حد كبير قوامة أبيك عليك من قبل، فهي قوامة رعاية ومسئولية، وحب وعطف، وشفقة ورحمة، ونفقة وعطاء، وبذل وكرم، ونصح وإرشاد، قوامة توجب لها عليك حقا يجب أن يؤدَّى، قوامة صرت بها أهلا لأن تكون راعيا لها ومسئولا عنها، كما قال النبي ﷺ: «**والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته**» [متفق عليه]. فاعرف للمسئولية قدرها وكن أهلا وكفؤا لها.

أي بنيّ..

ليس معنى أنك تزوجت وانتقلت إلى بيت الزوجية أنك انفصلت تماما عن أصل شجرتك [والديك] فلا زلت فرعا فيها مهما حدث وأينما سِرْتَ وكنت، ولا زلتَ تستمد من تلك الجذور قوتك وتستند عليها، ولا زلت تستمد منها الغذاء الذي يقوي ضعفك وتتنفس منه الهواء الذي يبقي نضارتك، ولا زلت ترتوي من مائه الذي لا ينضب مهما

علا فرعك ومهما ارتفع أو أورق وأثمر، فكن دائما فرعا نضرا مورقا بالبر والإحسان وحسن الصحبة لهما دون أن تظلم نفسك أو تجور على زوجك، ولا تنس وصية الحبيب ﷺ لك «**أمك... ثم أمك... ثم أمك.... ثم أبوك**» [البخاري].

ألا يا قرة العين والفؤاد..

إن السعادة لو كانت ملك يميني لما ترددت طرفة عين في أن أهبها لك دونما مقابل، لكن سعادتنا تنبع من داخلنا، يغذيها إيمانك العظيم بالله عز وجل واليقين بما عنده، وينميها حبك الصادق لمن حولك، ويزيد منها تفاعلك مع الجميع في عمل الخير، فلا تكن كسولا في طلب تلك السعادة، وقد يسر الله لك بعض أسبابها، فرزقك الزوجة الصالحة التي تساعدك في طلبها، وكن مؤمنا موقنا محبا صادقا متعاونا تسعَد وتُسعِد.

أوصيك يا ولدي.. فخذ مني الوصية..

– أن تخلص نيتك في زواجك وتجددها وتنوي به إعفاف نفسك وتحصين زوجك وتكثير أمتك، واجعل هذا الإخلاص قرين عملك كله لا يفارقه طرفة عين.

– أن تتبع الهدي النبوي في علاقتك مع زوجتك بداية بليلة الزفاف وآدابه وفقه الزواج وأحكامه، ونهاية بتعاملك معها في سائر أحوالك.

– أن تواظب على صلاة جماعة بالمسجد ولا سيما صلاة الفجر، وإياك أن تؤخر الغسل والطهارة إلى طلوع الشمس فتضيع فرض ربك.

– احرص أن يكون لسانك رطبا بذكر الله عز وجل، ولا تغفل عن تحصين نفسك بأذكار الصباح والمساء، ولا تنس أذكار النوم.

– لا تهجر القرآن الكريم مهما كانت مشاغلك، وحافظ على وردك اليومي منه، ولا تتحدث إلا باللسان العربي، ودعك من التفاخر بلغة الغير والتشدق بها.

– احرص دائما على أن تكون متبعا للسنة في كل أحوالك، ودع عنك البدع والغلو والتطرف حتى تنجو وتسلم.

– أدّ زكاة وقتك بإنفاق جزء منه في مساعدة الناس والمحتاجين فإن «أحب الناس إلى

الله أنفعهم للناس» [صحيح الترغيب].

– ليكن لك نصيب من حضور مجالس الذكر وحلقات العلم والدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا تكن الدنيا أكبر همك، ولا تشغلك سفاسف الأمور عن معاليها.

– كن ذا خلق حسن مع جميع الناس وصل أرحامك وأدخل السرور عليهم ولو بكلمة طيبة أو بسمة صادقة، وعاهد نفسك ألا يقطعك الزواج عن أهلك وإخوتك، وألا يشغلك إن كنت تدرس عن دراستك.

– لا تطلق بصرك في ما لا يحل له، فقد أصبحت بالزواج محصنا، ولك في زوجتك الحلال ما يحميك من الوقوع في الإثم.

– كن دائما نظيفا طيب الرائحة حسن الهيئة فإن الزوجة تحب من زوجها ما يحبه منها، والزواج عفة وإحصان، وقد قال الله تعالى: ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ [البقرة: ٢٢٨].

– كن خير عون لها على الالتزام بشرع الله، فأنت مسئول أمام الله تعالى عنها.

– أكرم زوجتك ولا تفش لها سرا ولا تذكرها إلا بخير وكن منصفا معها تدم العشرة بينكما وتطيب.

– كن عفيف اليد فلا تمدها لمال حرام، عفيف البطن فلا تملأها من سحت ليبارك الله لك في أهلك ومالك.

– زين باطنك بالتقوى وظاهرك بالأخلاق الطيبة تكن مؤمنا.. قال النبي ﷺ: «**إن أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لنسائهم**» [الترمذي].

ولكي تكون أسعد زوج يا بني..

– حافظ على خير متاعك في الدنيا.. قال رسول الله ﷺ: «**الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة**» [رواه مسلم]. واحفظ وصية رسول الله ﷺ إليك «**استوصوا بالنساء خيرا**» [مسلم].

obeikandl.com

– اعلم أن الزواج عون لك على نصف دينك وبه تهذيب نفسك وإحصان فرجك.. قال ﷺ: «**من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتق الله في الشطر الثاني**» [صحيح الجامع].

– اعلم أن الحقوق الزوجية لشريكة حياتك وزوجتك وأم أولادك حق لها في عنقك سوف يسألك الله على أدائه فأعدّ للسؤال الإجابة المناسبة.

– اتخِذ من النبي ﷺ القدوة الحسنة في معاملة الزوجة، فقد كان جميل العشرة دائم البشر، يداعب أهله ويتلطف بهم ويوسعهم نفقته، ويضاحك نساءه حتى أنه كان يسابق عائشة يتودد بذلك إليها..

– إن أحببت زوجتك فأكرمها وإن كرهتها فلا تظلمها، وأوفِ بشرطك معها بحسن الصحبة وطيب المعشر، قال النبي ﷺ: «**إن أحق الشروط أن توفوا ما استحللتم به الفروج**» [البخاري].

– اعلم أن من أعظم حقوق زوجتك عليك المعاشرة بالمعروف.. قال الله تعالى: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ [النساء: ١٩].. وقال النبي ﷺ: «**إني أحَرّج عليكم حق الضعيفين: اليتيم والمرأة**» [رواه الحاكم وصححه السيوطي].

– كن في خدمة أهلك ما استطعت فلست خيرا من سيد البشر ﷺ الذي كان يخصف نعله ويقم البيت ويرقع الثوب كما أخبرت بذلك زوجه عائشة رضي الله عنها.

– شجع زوجتك على تلقي العلم ثم الدعوة إلى الله.. قال النبي ﷺ: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**» [مسلم]. وقد يحدث تقصير منها في بعض حقك فكن صبورا محتسبا لأنك تشاركها في الأجر.

– لا تمنع زوجتك من الذهاب للمسجد إذا استأذنت في ذلك.. قال النبي ﷺ: «**إذا استأذنت امرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها**» [متفق عليه]. وتعاونا على طاعة الله.. ففي الحديث: «**إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا، أو صلى ركعتين جميعاً كتبا في الذاكرين والذاكرات**» [أبو داود].

obeikandl.com

- أنفق على زوجتك من مال الله الذي أعطاك إياه ولا تُدخل في جوفها إلا حلالا واحتسب ذلك عند الله، فقد قال النبي ﷺ: «**إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها فهي له صدقة**» [متفق عليه].

- احذر البخل أو إظهار التأفف والضيق بسبب إنفاقك فهذا حق للزوجة عليك وليس عليها أن تنفق من مالها شيئا ولو كانت من أغنى الناس إلا عن طيب نفس منها. قال الله تعالى: ﴿**وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ**﴾ [النساء: ٣٤]، وقال: ﴿**لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ**﴾ [الطلاق: ٧].

- لا تفشِ أسرار حياتك الزوجية ولو إلى أقرب الناس إليك، ولا تجعل من بيتك ساحة عارية أمام الناس.

- كن لزوجك طبيبا نفسيا حال مرضها وأشعرها بحبك وعطفك ورعايتك ولا تظهر لها ضيقا أو ضجرا.

- شارك زوجتك في فرحها وحزنها وتعاون معها في السراء والضراء، وتراضيا ما استطعتما، وقل لها كما قال أبو الدرداء لزوجته «إذا رأيتني غضبت فرضني، وإذا رأيتك غضبت رضيتك وإلا لن نصطحب».

- وازن بين الحقوق والواجبات واعرف أن لوالديك حقا عظيما عليك.. قال تعالى: ﴿**وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾ [الإسراء: ٢٣] ولزوجتك حقا.. قال ﷺ: «**وإن لزوجك عليك حقا**» [البخاري].. فآت كل ذي حق حقه.

- لا تتخذ من كلمة الطلاق أو الزواج بأخرى شعارا للتهديد أو لغوا على لسانك وتعلم فن التعامل مع زوجتك وأقرب الطرق وأفضلها لاختراق قلبها الرقيق.

- أكرم أهل زوجتك وزرهم بين حين وآخر، وأعن زوجتك على صلتهم وبرهم فإن ذلك يزيد من رباط المحبة بين الجميع.

- الغيرة باعتدال مطلوبة وهي لا تعني سوء الظن بالزوجة أو الشك فيها أو تلمس عوراتها.. فمن الغيرة «غيرة يبغضها الله وهي غيرة الرجل على أهله من غير ريبة» [أبو داود].

obeikandl.com

– لا تتغيب عن زوجتك طويلا كأن تسافر وتتركها فتعرضها للمشقة والعنت، ولا تطل السهر خارج البيت مع أصدقائك، ولا تسرف في الجلوس إلى الشاشة الالكترونية أوالفضائية ولو كنت في البيت.

– اعلم أن المرأة تتقلب في أحوال شتى من حيض وحمل ونفاس ورضاع وكل ذلك يؤثر على نفسيتها، فلا تتعسف في طلب حقك منها واعذرها وكن رحيما معها شفيقا عليها تنل منها ما تريد.

– لا تجعل الخلافات الزوجية تهدم العش الذي طالما حلمت ببنائه، وحاول أن تتحاور مع زوجتك لتتصالحا، ولا داعي لتدخل الأهل بينكما إن أمكن، وحبذا لو كان الأولاد في منأى عن ذلك كله.

– إياك أن تكون لغة الحوار مع زوجتك هي العصا والضرب، أو الصياح الدائم واللوم، بل اتخذ من نبيك ﷺ القدوة فقد كان خير زوج، وفي حديث عائشة رضي الله عنها «ما ضرب رسول الله ﷺ امرأة له ولا خادما قط» [النسائي].

– لا تهجر زوجتك – عند أي خلاف– إلا في المضجع، ولا تشتم ولا تقبّح، ولا تجعل من نفسك جلادا لها باسم الدين، واعلم أن ضرب المرأة الناشز هو آخر طرق علاج نشوزها ويكون بالسواك ونحوه وقد استنكر النبي ﷺ على من يضربون نساءهم وقال: «**يضرب أحدكم امرأته ضرب العبد ثم يعانقها آخر النهار**» [متفق عليه].

– اعلم يا بني أن الكمال لله وحده وأن البشر كلهم بما فيهم أنا وأنت يعتريهم النقص ويقعون في الخطأ، وزوجتك ليست معصومة من ذلك هي الأخرى، وقد قال النبي ﷺ: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر**» [مسلم]. واعلم أيضا أن من صفات الزوج الصالح أن يسلك سلوكا راقيا في عشرته لزوجته رفيقته وشريكته وحبيبته، يخشى عليها أي أذى، يذكّرها إذا أخطأت ويتعهدها بالنصيحة والتذكرة المغلفة بغلاف المودة والرحمة، ويأخذ بيدها إلى الصواب بصبر ولطف وحب ورحمة ولين لأنه يحبها ويتمنى لها أعلى الدرجات في الدنيا والآخرة، ليكونا زوجين معا في جنات النعيم، وهو

مع ذلك يقدم لها من نفسه القدوة الصالحة فيما يدعوها إليه أو ينهاها عنه.

وأخيرا.. يا فلذة كبدي.. ويا مهجة فؤادي..

كن لزوجتك أبًا في الحنان والحب، وأخًا في الصداقة والعطف، وكن لها مهادا تكن لك عمادا، وكن لها أرضا تكن لك سماء.

وتذكّر دائما أن الزواج شركة وشراكة بينك وبينها، أنت الرئيس فيها والقيم عليها، ومع ذلك فلا ينبغي لك أن تنفرد بقرار يخص هذه الشركة دون الرجوع إلى شريكك الآخر ومشاورته والاستئناس برأيه تحقيقا لمبدأ الشورى، ثم الأخذ بعد ذلك بالأصلح والأنفع لهذه الشركة العظيمة حتى يستمر عملها، وتقوى شوكتها، وتدوم ثمارها. مع تمنياتي لك بحياة زوجية سعيدة..

❋❋❋

obeikandl.com

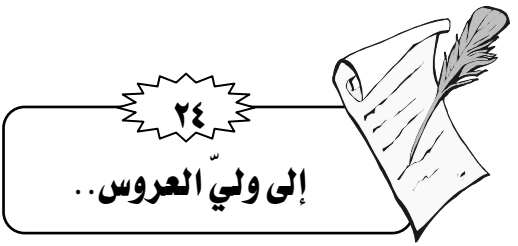

٢٤
إلى وليّ العروس..

إلى كل أب منّ الله تعالى عليه ورزقه من البنات واحدة أو أكثر فأحسن تربيتهن وأنفق عليهن واتقى الله فيهن ليكنّ له حجابا من النار..

إلى كل من اختار لابنته الزوج الصالح الذي يصونها ويحافظ عليها، ولم يقف سدا في طريق لمّ شملها به..

إلى كل من أكرم الأنثى فلم يعضلها بل سعى في تزويجها ويسر لها أسباب الزواج بصاحب الدين والخلق..

إنها إلى كل أب ووليّ لابنتنا العروس، يتلهف أن يعيش تلك اللحظات السعيدة حين يزفها إلى بيتها.. بيت الزوجية..

صورةواقعية..

إنه حديث عهد بالزواج.. أي لا زال عروسا.. لكنه كان كلما دخل بيته أو قرع جرس الباب أحس بالثقل والمعاناة وأصابه الحزن والانكسار، وكلما فتح خزانة الملابس ليُودِعها ملابسه بعد يوم العمل الشاق ارتجف قلبه، وإذا ما ابتدأ يأكل طعامه مع زوجته على مائدة الطعام ذات الكراسي المتراصة حولها حتى يشعر بالغثيان فلا يستطيع أن يبتلع لقمته رغم ما به من جوع. لا يهدأ له بال وإن ظهر هادئا في جلسته على المقعد الفخم الذي ازدانت به غرفة الضيوف، حتى إذا ما أرخى الليل سدوله وغطت ظلمته الأنام هرع إلى سريره ومضجعه عله يهدأ فينام وينسى حزنه وهمه وذله وانكساره الذي يشعر به دون أن يدري أحد، فهو دفين في قرارة نفسه لا تشعر به حتى زوجته وإن كانت تحس أن هناك شيئا ما سلب من حبيبها مرحه وفكاهته، وشبابه وحيويته، لكنها ما تجرأت يوما لتسأله فقد كانت تخشى الإجابة على هذا السؤال لأنها تظن أنها تعرفها وإن كانت لا تبوح له

obeikandl.com

بذلك. كان كلما ضمّه مع عروسه فراشه الوثير على سرير الزوجية الفخم أصابته غشية وفزع كأنما به صرع أو مسّ جان.

إنه يعيش مهددا..

إن حال هذا الزوج العروس حال الكثير ممن يتزوجون في هذه الأيام، إذ يبني الزوج بيته بمال غيره ويحاول أن يتمتع به فلا يستطيع، إذ كيف ينعم بما ليس له، وكيف يهنأ وهو مهدد بالحبس والسجن [والشيكات وإيصالات الأمانة والكمبيالات] إن لم يسدد ديونه في الميعاد، فحاله المادي لم ولن يتغير بعد الزواج إلا قليلا أضف إليه بعض زيادة في الإنفاق، إنه في وظيفته التي تدر عليه ما يشبعه هو وزوجه، أما الادخار بالنسبة له فأمر مُحال. لذا تراه حينما تطأ رجله أرض البيت يهاجمه الشعور بأنه مطارد من كل قطعة أثاث فيه لا يملكها وإنما هي التي تملكه وتأسره وكأنها تحادثه كيف تبني بيتك بالديْن، وكل قطعة من أثاثه تذكّره به حتى إنه يرى لها عينا تنظر إليه وتطالبه بالثمن، وأحيانا أخرى يراها وكأنها تلومه لأنه تعجل في امتلاكها وقد كان بإمكانه الاستغناء عنها أو تأخيرها قليلا أو استبدالها بما يناسب حاله، لكن ماذ يفعل مع الناس والديكور، وأمه وحماته وعروسه وأبيها وأبيه، وكيف سينظر إليه أصحابه وأصدقاؤه، ولماذا يكون أقل منهم في بيته وفراشه وأثاثه، كل هذا أو بعضه من أسباب ما هو عليه الآن، فلا يهنأ بعرسه إلا أياما قليلة يعيشها في غمرة ما يسمونه بشهر العسل، ثم ينفد العسل مع هموم الحياة ومطالبها الكثيرة وغلاء المعيشة فيها، ويبقى الديْن عالقا لا ينفك عنه إلا إذا اقتطعه من قوته وطعامه وشرابه وراحته وسعادته واستقراره، فيصل ليله بنهاره في العمل الإضافي بحثا عن المال الكافي، ويرجع مثقلا متعبا وبالتأكيد فإن هذا كله يؤثر على علاقته بتلك الزوجة العروس الشابة.

وعن حال الآباء.. فلا نسأل..

فهناك من الآباء وما أكثرهم من يستدين هو مكان ابنه أو يقترض لتجهيز ابنته، وما أرحم قلوبهم! ألم يأن لها أن تهدأ وترتاح من نصب الكفاح، لقد سمعت ببعضهم وقد اقترض مالا ليجهز ابنته العروس حتى لا تكون أقل من غيرها، ولا أتصور كيف ترضى هي أو أمها بهذا الأمر، وقد وقّع اسمه وكتب حروفه على صكوك بنكية [شيكات]، والحمد

لله تزوجت الابنة وسعدت بالزواج، لكنها فوجئت بأبيها بعد حين بين جدران السجن لأنه لم يستطع الوفاء، فبالله عليكم كيف تهنأ تلك البنت وزوجها إذا كان أبوها قابعا بين جدران السجن يلتحف الألم ويأكل الحزن ويتنفس الوحشة، ليدفع لهما ثمن تلك السعادة الزائفة من حريته وسُمعته وصحته ومكانته ومن قبل ذلك من أبوته الرفيعة الغالية، ألا إنها فاتورة باهظة التكاليف وليت النفوس تعقل ذلك فتقنع وتزهد.

أين الخلل؟

سؤال يحتاج إلى إجابة.. حقا أين يكون الخلل ومن أين يأتي؟.. أهو في أهل العروسين أنفسهم، أم في العروسين أحدهما أو كلاهما، أم في المجتمع الذي يضمهم ويضمنا، أم في الناس من حولنا، أم هي الأعراف السائدة التي احتضنّاها حتى نمت وتغلغلت فينا، أم التقاليد والعادات التي درجنا عليها، أم في ذلك كله؟ أين الخلل؟

وقفة صادقة..

لنكن صادقين عندما نتحدث عن مشاكلنا ونحاول طرح بعض الحلول لها، فلا شك أن الجميع يشارك في تلك المشكلة التي تولد عنها تأخر سن الزواج، وزيادة نسبة العنوسة بين الجنسين، وانتشار ظاهرة الزواج العرفي لأنه زواج بلا تكاليف، وكذلك زيادة نسبة الاغتصاب بعد أن كانت شبه منعدمة في بلادنا، وممارسة الصداقة الخفية كبديل لتفريغ العاطفة على شاشة الإنترنت ومكالمات ورسائل المحمول أينما سنحت الفرصة، والأغرب من ذلك كله زيادة نسبة الطلاق في السنوات الخمس الأولى من الزواج التي من المفترض أن تكون سنوات الحب والإرواء العاطفي في تلك المرحلة العمرية الشابة للعروسين، لكن بكل أسف يحدث العكس! إذ عادة ما يكون الزوج فيها مثقلا بالديون والمصاريف والضغوط، أو اللامبالاة وعدم تحمل المسؤولية إن كان أهله يقومون عنه بكل شيء، مما ينضح على علاقته مع تلك الزوجة التي تشاركه وتقاسمه حياته.

المسؤولون عن ذلك الخلل كُثر..

والمجتمع هو الآخر يشارك في تحمل المسئولية، فهو مسئول عن هذا الخلل يوم أن

سَرَتْ فيه هذه العادات فتقبلها ولم يلفظها، بل روّج لها بين أفراده حتى صارت عُرفا سائدا لا يخرج عنه إلا القليل.

والبيت أيضا مسئول يوم أن أفنى الوالد صحته واستدان واقترض بالربا وبغير الربا ليزوّد ابنته بما يمكن الاستغناء عنه في سنوات الزواج الأولى من أثاث أو فراش أو ملبس.

والأم مسئولة يوم أن أهملت تربية ابنتها على الزهد والقناعة والرضا، يوم أن بثت في نفسها حب التملك ذهبا ومالا وأثاثا وفراشا ورياشا وعقارا خشية غدر الزوج في يوم ما! يوم أن زودتها في جهازها بكل ما ظهر في السوق ولم تقدم لها من نفسها المثل والقدوة.

والشاب العروس مسؤول يوم أن ظن أنه لا بد له أن يبدأ من حيث انتهى أبواه، فما بناه الأب في عشرين عاما يريد أن يصل إليه الابن في عشرين شهرا!! إنه يريد وظيفة مرموقة وبيتا مملوكا وزوجة حسناء وأثاثا فاخرا وكماليات تحسينية ومدخرات تأمينية!! وللأسف فإن كثيرا منا يزرع ذلك في قلوب أولاده ويوافق عليه ويساعد في تحقيقه، ووالله ليس هذا هو الحب، إنما الحب الحقيقي أن نؤهلهم للنجاح بأنفسهم دون الصعود على الأكتاف، وأن نغرس في نفوس أولادنا بنين وبنات منذ نعومة الأظفار أن ما عند الله خير وأبقى، وأن الدنيا هي دار الغرور وهي وسيلة وليست غاية، ليشبوا على القناعة، وإذا كان مَن يصعد سُلم بيته العالي ويفتقد المصعد لا يستطيع أن يرتقيه إلا درجة درجة، فمن باب أولى على من يصعد سُلم الحياة أن يتدرج فيه مهما علا طموحه، فيبدأ به درجة درجة حتى يثبت عليه ويصل إلى هدفه دون أن يقع فينكسر قلبه.

بعض بناتنا يدفعن الثمن..

نعم أيها الأب الكريم.. يا مَن تقول بملء فيك أنك تحب ابنتك، فهل أنت حقا تحبها؟ سؤال يبدو غريبا لأول وهلة، وقد يتهمني البعض في عقلي أو يشكك في سؤالي ويظن أني أخطأت في طرحه، ولن يصدق أحد أن بعض الآباء يفعلون مع بناتهم بدعوى الحب ما ينقض هذا الحب ويهدمه، فهل يعقل هذا؟!

إن الحب أيها الأب الكريم لا يعني أن تطعم ابنتك وتسقيها أو تعلمها وتحميها

فحسب، فهذا وإن كان هو الأصل إلا أنه حُبّ ناقص مبتور، حيث أن البنت تختلف عن الولد في شدة حيائها الذي يمنعها أن تعترض على والدها إذا ما رفض زواجها بسبب أو بغير سبب، كما أنها تتميز بعاطفتها الجياشة وميلها الفطري لأن يكون لها بيت تُتوّج ملكة عليه، وزوج تحبه ويحبها وتتدلل عليه ويدللها وتنعم بالعيش معه وتنجب من صلبه ولدا تمارس معه دور الأمومة الهام الذي فطرت عليه وكانت تتقمصه مع عرائسها منذ طفولتها.. فهلا يعي أولياء النساء ذلك ويضعونه في الحسبان؟

إن هناك بعض الآباء للأسف يعضل ابنته حُبّا فيها وحرصا عليها كما يقول، فيذهب بشبابها وجمالها حتى تكبر، ويئد عاطفتها وقد تولدت، ويستغل حياءها متى تسكت، وذلك حين يرفض الخاطب الكفؤ ذا الدين والخلق، إنه لا يرفضه صراحة بل يغالي في طلب المهر لابنته منه ويعدد شروطه ويكثر طلباته بما لا يناسب حال ذلك الخاطب الوافد، فيفر العريس إلى غير رجعة لأنه قليل المال يكسب قوته بعرق الجبين وهو يريد زوجة صالحة يسكن إليها، لا أن يشتري قطعة أثاث أو جارية يزايد أو يناقص في ثمنها! وقد يكون غلاء المهر ستارا يخفي الأب فيه أنانيته وحبه في امتلاك ابنته أو طمعا في راتبها إن كانت تعمل، أو رغبة في دوام خدمتها ومجاورتها له، وإذا ما حاورته البنت على استحياء هي أو أمها قال لا! إن ابنتي غالية لا أزوجها إلا لمن يزنها بالمال ويثمنها بالذهب والجواهر!!

ألا أيها الأب اتق الله تعالى في ابنتك.. أتريدها أن تخرج عن طوعك أو تتزوج في السر، أم تراها تذهب للقاضي ليزوجها.. كيف بك وقد قال رَسُولُ الله ﷺ: «**إذا خطبَ إليكُمْ من ترضونَ دينهُ وخلقهُ، فزوِّجوهُ. إلاَّ تفعلوا تكنْ فتنةٌ في الأرضِ وفسادٌ عريضٌ**» [الترمذي]. ماذا تريد لها؟ إن الخلق مدار حسن المعاش، والدين مدار أداء الحقوق، فينبغي ألا يقف المال أو غيره من الأسباب عقبة في طريق تزويجها ومن ثم يكون ظلمها وعضلها.

ما قبل المهر وما بعده..

إن الشاب الذي يريد أن يتزوج في هذه الأيام تصدّه الأبواب المغلقة في وجهه من

أولياء أمور النساء بطلبات تنوء من حملها الجبال الرواسي، تجعل بينه وبين الارتباط بالفتاة ملايين الأميال من الخطوات، ويستحيل عليه أن يصل إليها أو ينالها، وقد كان بإمكانه لولا خوفه من الله عز وجل وبغضه للمعصية أن يلج تلك الأبواب المغلقة لكن على طريقة امرأة العزيز، فيقع في المحظور والعياذ بالله.

وليت الأمر يتوقف على المهر فقط، بل إن قبله خطوات تسبقه ولا تنفك عنه فهدية الزيارة أولا عند التعارف، ثم الشبكة من الذهب أو الماس التي تقدر بآلاف الجنيهات في المتوسط، ولا أدري من أين سيأتي العريس بهذه الألوف المؤلفة إن لم يكن أبوه مالكا لها وهو الناقد الدافع بدلا عنه، فإذا ما تمت الموافقة من الأهل فلا بد من تكاليف ومصروفات لمناسبة الخطوبة، ثم يتبعها بعد حين حفل ولو صغير لإعلان عقد الزواج، يتخلل كل ذلك المواسم المختلفة والأعياد والزيارات والمجاملات وما يلزم به العرف السائد من تحمل الهدايا مع كل زيارة لعروسه. أضف إلى ذلك وجوب إيجاد العريس لبيت يسكنه وبالمواصفات المطلوبة مع ما يلزمه من تجهيزه حسب الاتفاق بينه وبين أهل العروس، وما أن يتم ذلك حتى يجد نفسه وجها لوجه أمام تكاليف يوم عرسه وليلة الزفاف، وما أكثرها من تكاليف، استئجار مكان للحفل وطعام وشراب الوليمة لمئات الأشخاص، كما يطلب منه شراء فستان الزفاف لعروسه على أحدث طراز، وما أغلى ثمنه وما أقساه، وشراء ملابس زفافه هو الآخر، ودفع الأجرة لمن تزين العروس وتصفف لها شعرها، وفرقة الإنشاد، وشموع السهرة!! كل ذلك على العريس في عُرف كثير من الناس، إذ يجري ذلك بينهم دون تراحم وشفقة، المهم أن تتحقق المطالب! فيا ليت شعري من أين يأتيهم بهذا كله، وهل يستطيع أبوه أن يقوم بها بدلا عنه، لا شك أن في هذا ظلما لأنفسنا وأهلينا وقد قال الله تعالى لنا ﴿**لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾.

فكر قليلا أيها الأب..

ولو فكر الأب قليلا لأنصف ابنته وخاطبها الذي لا زال غضا طريا في أول درجات سُلمه الوظيفي والمالي والعمري، والمستقبل بإذن الله أمامه زاهر، والأيام يتولد معها الخير والأمل، فقد يغتني الفقير ويشبع الجائع ويعمل العاطل، لكن الأب المحب لابنته يغلق في

وجه ذلك الخاطب أبواب وده وقبوله إذا لم يمتثل الأوامر ويأتي بالمطلوب، وحجته أن الله تعالى لم يجعل حدا لأكثر المهر فقد قال في كتابه الكريم: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾ [النساء: ٢٠] وبالتأكيد فلن أطلب منه قنطارا، فليدفع ما يكفي وإلا فليبحث له عن عروس أخرى.

ونقول للأب ونتساءل.. هل كنت أيها الأب في مثل عمر ذلك الخاطب تملك القنطار أم كنت تستطيع أن تدفع المهر الذي طلبته من خاطب ابنتك؟ وفي المقابل هل قرأت قوله تعالى وهو يخاطب أولياء النساء أن زوجوا من لا زوج له، من باب الستر والصلاح لأنه طريق التعفف ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكم وَالصَّالِحِينَ مِن عِبَادِكم وَإِمَائِكم﴾ [النور: ٣٢]. أي لا تمتنعوا عن التزويج بسبب فقر الرجل والمرأة؛ والمعهود من كرم الله تعالى ولطفه أن يرزقه ما فيه كفاية لها وله ﴿إِن يَكونُوا فقرَاءَ يُغنِهِمُ اللهُ مِن فضلِهِ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. وهذا وعد بالغنى للمتزوجين طلبا لرضا الله واعتصاما من معاصيه. ولذلك قال ابن مسعود ﷺ: التمسوا الغنى في النكاح؛ وتلا هذه الآية. وقال عمر ﷺ: عجبي ممن لا يطلب الغنى في النكاح، وقد قال الله تعالى: ﴿إِن يَكونُوا فقرَاءَ يُغنِهِمُ اللهُ مِن فضلِهِ﴾. [تفسيرالقرطبي]. وأن رسول الله ﷺ يقول: «**ثلاثة حق على الله عونهم الناكح يريد العفاف...**» [أحمد]. وقد زوج رجلا يريد الزواج ولم يجد عليه إلا إزاره ولم يقدر على خاتم من حديد، ومع هذا زوّجه وجعل صداق تلك المرأة عليه أن يعلمها ما معه من القرآن.

أيها الأب.. أيها الولي.. ضع نفسك في نفس المكان..

إنه يحادث صديقه في الخارج.. أطلب منك يا صديقي طلبا أرجو أن تضعه فى الاعتبار وهو أن تبحث لى عن أى فرصة عمل أخرى وذلك لأنى قررت بمشيئة الله تعالى أن أرتبط وظروف أسرتى لاتسمح لهم بمساعدتى وما معى من مال لن يفى بجميع الأغراض وتكاليف الزواج كما تعلم مكلفة جدا ولكن رجائي فى ربنا كبير..

إنه يريد أن يعف نفسه، ويبحث عن طريق لجلب المال الذي يكفيه، فقد ادخر راتبه على مدى عدة سنين ومع هذا لا يكفي، والأهل لا يملكون، ورجاؤه في الله كبير.. ماذا لو كان غير هذا الشاب في مكانه لا يفرق بين الحلال والحرام ويريد أن يفرغ شحنة عاطفته،

obeikandi.com

لا شك أنه سيقع بين أمرين فإما أن تمتد يده عن ضعف وحاجة للمال الحرام سرقة وخداعا وسحتا ورشوة وزورا واختلاسا وفسادا وإفسادا، وإما ان يروي غريزته بالحرام، وكلا الأمرين مرفوض.

إن هذا حال كثير من الشباب في هذ الأيام، يريد أن يجد عملا في أي مكان في العالم، بعد ظاهرة غلاء المهور والإسراف في مطالب العروسة وأهلها وارتفاع تكاليف الزواج، مع انتشار نسبة البطالة وأزمة الإسكان وتدني الرواتب وغلاء الأسعار، ألا يكفي بعض هذا أيها الأب ليرق قلبك وتساهم في إحصان بعض الشباب بالتخلي عن بعض العادات.

ثم ألا تذكر أيها الأب يوما بعيدا مضى كنت فيه شابا تريد العفة والإحصان، وقد كنت تعمل وتكسب من عرق جبينك ما يكفيك دون حاجة للناس لكنك لم تستطع في يوم من الأيام أن تجمع المئات من الجنيهات فضلا عن الآلاف، وعندما منّ الله تعالى عليك بالعثور على عروسك ذات الدين والخلق دعوت الله عز وجل أن ييسر أمر زواجك منها وأن يهدي قلب أهلها فيرضوا منك باليسير، ومع ذلك طلبت من والدك أن يمد لك يد العون حتى تفتح بيتا بسيطا يضمك معها، وكان لك منه ما تريد، أتذكر وقتها كيف كان حال أبيها معك، هل كان سهلا فلم يطالبك بما يعجزك، أم أنه لم يرض منك إلا أن تستدين أو تتصرف لتكفي مطالبه لها، وتبدأ حياتك مع ابنته مدينا تعاني من ذل الدين بالليل وهمّه بالنهار.

ألا تريد أن تكون ابنتك خيرهن وأعظمهن بركة؟

وقد قال النبي ﷺ: «**أعظم النساء بركة أيسرهن مؤونة**» [رواه أحمد وصححه السيوطي] وقال: «**خيرهن أيسرهن صداقا**» [رواه الطبراني وصححه السيوطي] بمعنى أن يُسر المهر دال على خيرية المرأة ويمنها وبركتها فيكون ذلك من قبيل الفأل الحسن. قال العامري: أراد المرأة التي قنعت بالقليل من الحلال عن الشهوات وزينة الحياة الدنيا فخفت عنه كلفتها ولم يلتجئ بسببها إلى ما فيه حرمة أو شبهة فيستريح قلبه وبدنه من التعنت والتكلف

فتعظم البركة لذلك[١].فأين هذا القول من تطلعات الكثيرات من بناتنا اليوم.

نداء عاجل..

إنه لكل الآباء المقتدرين، ولكل الأغنياء من الناس، ساعِدوا الشباب، أوجدوا لهم فرصا للعمل، أقيموا لهم مشاريع صغيرة وأشركوهم معكم، أنتم بالمال وهم بالجهد والعمل، حصنوهم بالزواج وأعينوهم عليه، خففوا عنهم من غلاء المهور وكثرة المطالب، أشعروهم بأنهم مسؤولون وأنهم أصحاب همم، لا تشاركوا في إضافة أعباء أخرى عليهم.. ﴿**وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [النور: ٣٢].

ويا أمّ ابنتنا العروس مهلا مهلا بأبيها، لا تكلفيه فوق طاقته، وتواضعي في جهازها، ويسّري على الجميع ولا تعسري.

وأنت يا أمّ العريس لا تقولي مستنكرة: أحضرت في جهازها كذا ولم تأت بكذا، أو هذا قليل وهذا كثير وكوني معهم قانعة شاكرة.

أما أنت أيتها الشابة.. وأنت أيها الشاب.. يا مَن تريد أن تتحصن بالزواج لكنك لا تستطيع ولا تملك تكاليفه الباهظة.. أذكّركم بقول الله عز وجل: ﴿**وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ**﴾ [النور: ٣٣] .

❊ ❊ ❊

(١) فيض القدير، شرح الجامع الصغير للإمامِ المناوي الجزء الثاني .

obeikandi.com

إنها العروس الحُلوة الفاتنة التي زُينت لخاطبيها فلم يرَوا سواها، واعتلتْ عرشَ قلوبهم فلم تفارق المُقل والأنظار، فقد التقطت عدسات عيونهم صورتها وأشْبِعَتْ حُبها حتى التصقت ببواطنهم، تسير معهم أينما ساروا، وتحط رحالها معهم متى حطوا الرحال، وترافقهم إذا ما امتطوا مطاياهم.

لقد بلغ من جرأتها أنها وعدت كل خاطب بما يأمل، ورضيت من كل مشترٍ بما يدفع كلٌّ حسب حاجته وقدر استطاعته، فلم تمتنع عن مريد، وكلهم لرضاها يطلب، ولقربها يريد! ولِمَ لا وقد بدت في أبهى حلة وتشكلت في كل شكل، وقد وقف على باب حضرتها من كل لون وجنس، وتسابقوا إليها من كل حدب وصوب، وجميعهم من بني البشر! أمّا هِيَ فلا تردّ طالبا ولا ترفض مَن امتدت يده إليها بالمَهر رغبة في الاقتران بها والقرب منها. ويا لحظّها الواسع!! فخُطَّابها كُثر في زمن قلَّ فيه الرجال، ومهرها غال في وقت ساد فيه الشح، ومريدوها ينتظرون منها إشارة القبول، وعلامة الرضا، وهيَ هيَ! ما فتئت تتلون كل يوم بلون، وتظفر كل ساعة بزوج.

سحرتهم ببريق نظراتها، وجذبتهم ببهيجألوانها، فقد جُمّلت بكل زينة تسر الناظرين،وصدق ربنا إذ قال: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾ [آل عمران: ١٤].

مالٌ وبنون، ونساء وفنون، شهرة وصِيت، ومنصب وجاه، حرث ونسل، ذهب

وفضة، تكنولوجيا مبهرة، وتقدم في العلوم، ظن الإنسان الغَرور أنه بهذا قد امتلك مفاتيح الأرض وكنوز الخير ومِلكية الكون، فعاث فيه بما يشتهي، ونفض يديه عن معرفة حقيقة الدنيا، ولم يملك زمام أمرها إذ هي ملكته، فافتتن الكثيرون بها -إلا من رحم الله- ، وازداد أتباعها ومحبوها بُعدا عن أوامر خالقهم العظيم ﴿**أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ**﴾ القائل في كتابه الكريم ﴿**وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾.

العروس الساحرة:

لذا فقد دَعَتْ العروس الفاتنة -وهي ذات المنصب والجمال- كل مَن وقف ببابها، فتتمايل تارة وتتراقص أخرى، تُقبِل وتُعرض، تنأى وتقترب، تعرض مفاتنها كل حينوتخفي ما يسوؤها من آلام ومتاعب، وأسقام وأمراض، وراء قناع زائف من المغريات حتى وقع في شِراك حبها مَن وقع، ووهب لها نفسه مَن وهب، فلم يقف لحظة للتفكير ولم يأخذ بنصيحة الفاروق ﷺ «**حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا وتهيؤوا للعرض الأكبر**».. فطلب رضاها مَن هان عليه أن يُساق وراء شهواتها كما يُساق البعير إلى حتفه وهو لا يدري، كل ذلك مقابل لذة عابرة تمر كالطيف ينالها المحب من عروسه الغانية الفانية، وثمن بخس زهيد يتقاضاه منها من حظوظ النفس سرعان ما يبلى ويفنى مع الأيام.

فيا لها من حسناء ساحرة،ويا لخطرها وعظيم تأثيرها، تسحر كل من أشْرِبَ قلبه حبها، فتجعل منه لنفسه قاتلا، ومن أجلها يقتل الأخ أخاه،ويأكل ماله ويتصارع معه، ويتسابب ويتشاتم! ومن أجلها تُقطَع الأرحام ويُساء الجِوار، وتُعقّ الأمهات ويُهان الآباء، ويُضيّع حق الولد، ويُؤكل الميراث، ويُحَب المال حبا جمّا! ومن أجل شهواتهاولذاتها تُنفق الأموال في الحرام، فتُشرب الخمور وتُتعاطى المخدرات وتصير سلعة تباع، ويذهب الإنسان بعقله بعيدا عن العقل!

ومن أجلها يُشهَد الزور، ويُتاجَر بالجنس، وتُسرَق أعضاء الإنسان وتُباع، وتُنتهك الحرمات، وتُهتك الأعراض، وتُنهَب الممتلكات، وتُسرق الشعوب، ويُساء استخدام العلم، وتصبح تجارة السلاح هي التجارة الرائجة، واللعب به هو اللعبة المفضلة!

ومن أجلها يُضيِّع المرء فروض ربه ويُسوِّف في أدائها وكأنه ضَمن لنفسه الخلود فيها، أو يؤديها ناقصة لا تصل حدّ التمام، وتخرج العيون عن حيز الحلال فتشبع بالنظر إلى العورات وتمتد لتتجسس على العباد، وتتلمس العثرات، وتسعى بالنميمة وتطلب رضا الناس بغضب الله!

ومن أجلها تشح النفوس وتقسو القلوب ويعلو صوت الأنا، فتُمنع الزكاة ويجف بحر الإيثار وتسود الأثرة وتطغى الأنانية، ويذبل الخير وينمو الشر ويُحرَم كل ذي حق حقه، طمعا في متاعها أو خشية فقدانه بالفقر أو الحرمان، فيهتز اليقين في الله ويضعف التوكل عليه، وقد حذر نبينا صلى الله عليه وسلم وأقسم قائلا: «**فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا، كما بسطت على من كان من قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم**» (البخاري).

ومن أجل لذاتها العاجلة تضيع الحقوق والواجبات، وتتبدل النيات، ويتحول القصد والإرادة إلى غير الله، فيذهب الإخلاص، وتُترك أوامر الله، وتُؤتى نواهيه، ويَنسى المرء نفسه وهو في أحضانها يتلذذ بمنصب رفيع يشغله، أو مال قليل ينميه، ويتعالى بمركز مرموق يعتليه، ويتفاخر بنسب وحسب ليسا من صنعه، ويتكاثر بأولاد وذرية لم تكن يوما مِن خَلقه.. ويظن جاهلا أن ذلك له من الله كرامة ومزية، ونسي أن النبي ﷺ يقول: «**إذا رأيت الله تعالى يعطي العبد من الدنيا ما يحب، وهو مقيم على معاصيه، فإنما ذلك منه استدراج**» (أحمد- حسنه السيوطي).

ومن أجل العلوّ فيها والثبات على كراسيها تسيل الدماء بحورا، ويعيث الظالمون في أرض الله فسادا، فلا يعبأ أحدهم أن يصل لمبتغاه وحظه منها على جماجم ورقاب البرآء، أو أن يصعد سلم مجده المزعوم على عظامهم المحطمة، فتُقتل الرجال ظلما وزورا، وتُرمل النساء فلا تعرف سرورا، ويُوأد الصغار بضحكاتهم البريئة فلا يرون نورا! فتتحطم القيم وتتخاذل الأخلاق وتنكسر المعاني الجميلة أمام طاغوت حبها ولذة طعمها، فلا يرى حبيبها إلا نفسه، ولا يلين قلبه ليتيم ذي مقربة، أو يرقّ لمسكين ذي متربة، أو أمّ ثكلى تذوقت مرارة الثكل وفجيعة الفقد، فلم يترك ذلك الحبيب الواهملنفسه حظا من خير في

obeikandi.com

الآخرة، والله تعالى يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

هذا هو حال مُحبّي الدنيا، هذه العروس الدانية الفانية،حال المفتونين بها الغارقين في هواها، العاملين لرضاها، يعيشون فيها لها ومن أجلها، ويموتون في سبيلها! فإذا نزل بهم أمر الله الحق الذي لا مفر منه، ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ وحان أوان شرب كأس الموت، وضمة القبر، والموت كأس وكل الناس شاربه، والقبر باب وكل الناس داخله، ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ۞ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٣]. وإذا بالحبيب المغرور يفارق عروسه ومحبوبته التي طالما تغنّى بحبها وسهر في رضاها وقاتل من أجلها، ويا للمصيبة عندئذ!! وكما قيل: مَن لم يسلك طريق الآخرة أنس بالدنيا وأحبها، فكان له ألف محبوب، فإذا مات نزلت به ألف مصيبة دفعة واحدة لأنه يحب الكل وقد سلب عنه.

أما أهل العلم والإيمان وأصحاب الكياسة والفطنة، فقد تفكروا فيها، فعرفوا عمرها الحقيقي، وقاسوا حاجتهم إليها بسني أعمارهم، فلم يهبوها أنفسهم، بل صيروها أداة لهم يسيرون بها ويسيّرونها بإرادتهم، شعارهم قول حبيبهم ﷺ: «**إن الدنيا حلوةٌ خضرةٌ، وإن اللهَ مستخلفُكم فيها فينظرُ كيف تعملون**». رأوها كالسلاح الحاد في أيديهم إن لم يحسنوا استخدامه أو وضع في غير مكانه خرج عن نصله فقطع الرقاب، سلاح فتاك يحيي ويميت، فبه يدفعون عن أنفسهم الشر ويصدون العدوان ويرهبون العدو فيحيون بعزة، فجعلوها حارسا لهم في طريق سفرهم الطويل إلى الدار الآخرة فأخذوا منها ما يدفعون به عن أنفسهم وأهليهم الفقر والعوز والجوع والمرض، وما يعين على شهواتها المغرية وشبهاتها ومصائبها وابتلاءاتها، وما يرهب أعداءهم المتربصين بهم من دعاة الشر من شياطين الإنس والجن ففكوا بذلك رقابهم من قيدها وحرروا قلوبهم من أسرها، وامتطوا ظهرها ليصلوا بها إلى دارهم في سفرهم البعيد فأتتهم –دنياهم–وهي راغمة.ولقد علموا علم اليقين وهم يعبرونفيافيها الواسعة أنهم في حاجة لدليل وزاد، فاتخذوا من كتاب الله قائدا يدلهم، ومن تقواه زادهم، فغرسوا فيها غرسهم، وعمروها بالإيمان بالطاعات،

وجعلوها سلما يرتقون به إلى أعلى الدرجات، فكانت لهم زادا وأي زاد!

غسلوا قلوبهم فيها من أدران المعاصي بالتوبة والاستغفار،وعاشوا فيها حلماء أتقياء، أبرارا رحماء، كالغيث لعباد الله، وذاقوا ألذ ساعات حياتهم فيها مع ذكر الله ومناجاته ومراقبته،دون أن يغفلوا حاجة البدن إلى ما كتب الله له فيها ليعيش سويا صحيحا معافى.

لكن هذه العروس الفاتنة خدعتهم جميعا! ففي نهاية مطافهم معها وفي لحظة كلمح البصر، وبينما هم في أشغالهم سائرون، لفظتهم واحدا تلو الآخر بعد أن نالت منهم ونالوا منها، فخرجوا من أحضانها فجأة إلى حُضن أمهم الأرض حيث حفرة صغيرة في باطنها تضمهم، قد تكون روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار.

❋ ❋ ❋

obeikandl.com

المراجع

١- تفسير القرآن الكريم: (تفسير ابن كثير. تفسير القرطبي.. تفسير الطبري.. تفسير الجلالين).

٢- البحر الرائق في الزهد والرقائق.. جمع وترتيب أحمد فريد.

٣- إحياء علوم الدين ج٣ للإمام أبي حامد الغزالي.

٤- الحلال والحرام في الإسلام.. للشيخ يوسف القرضاوي

المواقع الالكترونية:

- موقع الدرر السنية (الموسوعة الحديثية)

http://www.dorar.net

- موقع الإسلام الدعوي والإرشادي

http://quran.al-islam.com

- موقع المحدث

http://www.muhaddith.org

- موقع إسلام أو لاين

www.islamonline.net

obeikandl.com